

إيتيقا الاعتراف بالآخر في أدب الوباء: رواية (ربيع الكورونا) لـ "أحمد الهادي رشراش" - أنموذجاً -

The Ethics of Recognizing the Other in Pandemic Literature: The Novel (Spring of Corona) by Ahmed El Hadi Rachrach -as a model-

شريعة بوكاف¹، مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة،

الجزائر، boukef.cherifa@univ-tebessa.dz

علاوة ناصري²، مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة،

الجزائر، allaoua.nasri@univ-tebessa.dz

تاريخ قبول المقال: 27-11-2024

تاريخ إرسال المقال: 01-08-2024

الملخص: تسعى هذه المقاربة إلى تتبع تمثيلات إيتيقا الاعتراف بالآخر في أدب الجائحة، انطلاقاً من رواية (ربيع الكورونا) لمؤلفها "أحمد الهادي رشراش"، بعد هذا الفيروس ظاهرة قد واكبت الراهن، وارتأينا التركيز على أخلاقيات الاعتراف بالآخر، وكيفية التعامل معه ورعايته في ضوء الإيتيقا، فلطالما كانت هذه الثنائية الضدية (الأنا والآخر) تؤرق الدارسين، كما قد شغلت حيزاً هاماً في الدراسات النقدية الحديثة، فعمدوا إليها في كتاباتهم الإبداعية والفلسفية، ولهذا نروم في هذا البحث استشفاف خبايا هذا النص، ومواقف المبدع من هذه الظاهرة المميّنة، واستكناه مكنوناتها، وماذا أراد "رشراش" الوصول إليه، بطرقه لهذا الموضوع؟ وما حقيقة هذا الوباء (covid19)؟ لتخلص المقاربة إلى أنّ رواية (ربيع الكورونا) نص سردي تراجيدي، يطرح فيه المؤلف ظاهرة الموت الموبوء ويطمح إلى بناء عالم استشرافي بانتهائه وتغيير الأحوال إلى الأحسن.

الكلمات المفتاحية: الإيتيقا، الاعتراف، الاعتراف بالآخر، أدب الوباء، ربيع الكورونا.

Abstract: This approach aims to trace the representations of the ethics of recognizing the other in pandemic literature, starting from the novel *The Spring of Corona* by Ahmed El-Hadi Rashrach. Given that this virus represents a contemporary phenomenon, the focus is on the ethics of recognizing and engaging with the other, as well as acknowledging and caring for them within the framework of ethics. The binary opposition of "self" and "other" has long been a concern for scholars and has occupied a significant place in modern critical studies, influencing both creative and philosophical writings. Therefore, this research seeks to uncover the underlying themes of the text, the creator's stance on this deadly phenomenon, and the essence of what Rashrach intended to convey through his exploration of this subject. What is

* شريعة بوكاف

the reality of this pandemic (COVID-19)? The analysis concludes that *The Spring of Corona* is a tragic narrative that addresses the phenomenon of pandemic-induced death and aspires to construct a visionary world, aiming to transform the situation for the better.

Key words: ethics, recognition, recognition of the other, pandemic literature, *The Spring of Corona*.

مقدمة:

وقبل الخوض في مسألة إيتيقا الاعتراف بالآخر كان لزاماً علينا الإشارة إلى أن الإيتيقا تعدّ من المصطلحات التي تواكب الراهن نظراً للتطورات والتغيّرات الحاصلة في المجال التكنولوجي والتقني، وارتبطت بالتطور البيوإيتيقي، والبيوتكنولوجية، وذلك من منطلق أنّها « تفيد عموماً النظرية العقلانية حول الفعل والحياة الخيرة»¹ وبالتالي فهي ترتبط بما هو خير وما هو شرّ أي؛ تحتكم إلى الأفعال الصادرة عن الإنسان فضلاً عن ذلك، فهي تتشابه مع علوم مختلفة، كالعلم الفلسفة، السياسة، الدين والأدب، ولا سيما الرواية، فالروائي خصوصاً أثناء كتابته لإبداعه الأدبي، فإنّه يُنتجُهُ انطلاقاً من بنى إيتيقية/أخلاقية، فيسعى استناداً لذلك لانتقاد الواقع والأوضاع السائدة، وفق رؤية فلسفية إيتيقية.

وتأكيداً على ذلك، يقول "محمد بكاي" إنّ: « إتاحة الفرصة للآخر للقاء والتعارف والتّحاور هي علة لخروج الذات من عزلتها وتوحيدها. إن الغير سيتقاسم مع الذات هذا الفضاء الإنساني الرحب؛ حيث الخير والوئام والأخلاق الطيبة، وسينزل الذات من وعيها وعلائها، من الأبراج العاجية التي يتركز فيها الوجود الباطني»² فلا يمكن بأي حال من الأحوال وجود الذات دون وجود الآخر، فهو الذي تدرك وفقاً له الذات، ولطالما أقول دائماً بالآخر ندرك ذواتنا. فالإنسان الأخلاقي الذي يحترم الآخر، مع حفاظه على هويته وعدم الانسلاخ فيه. كما عليه أن يكون خيراً معه، مع وجود الاختلاف الذي يميّز عنه، ومما لا شك فيه، أن الإرادة الخيرة « هي بحسب "كانط" خير أمر بين كل الأمور الخيرة الصالحة وهي تعني استقلالية هذه الإرادة وخضوعها لتشريعها الذاتي المنطلق منها، من حرية فردية يستلزمها العقل العملي وإرادة العيش الخير الصالح تتلاقى هنا مع مطلب العقل العملي الأساسي في عدم الخضوع لتشريع يأتي قهراً، ولكنّه ينبعث من إرادة لها فتخطت عبوديتها، وأصبحت تنتج القانون

¹ - الناصر عبد اللاوي: معضلة الإنسان وسؤال القيم، (ط1)، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع، تونس، 2022م، ص: 133.

² - محمد بكاي: أخلاقيات التعامل مع الآخر، تأملات في فلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس، التفاهم، ع46، 2015م، ص: 286.

الكلي.¹ فالاعتراف بالآخر ليس فيه منقصة من الذات، كما أنّ العيش السعيد يقتضي تبادل الاحترام والرعاية؛ هذا من المفترض أن يكون في الواقع، الذي نلمحه على خلاف ذلك؛ لا سيما بالنظر إلى المركزية الغربية المتعالية التي تنظر إلى العرب والشرق عموماً نظرة دونية وانتقاص، وفرض الهيمنة والاستبداد والعنف، هذا ما تخفيه في ظل ذريعة حماية حقوق الإنسان، وما تبديه غير ذلك تماماً، إذ الدليل ما يحدث في فلسطين من إبادة جماعية باسم محاربة الإرهاب لينتج عنه انتهاك حقوق المدنيين بأبشع الطرق دون أي رادع. ويبقى « كل من السلم والاعتراف على أنهما نموذجين أخلاقيين لأنهما يهدفان إلى تحقيق الانفتاح من خلال جمالية الهوية أولاً والاعتراف باللغة ثانياً والتأكيد على منطق الاختلاف.²» وردة الفعل هذه ناتجة عن الخوف من الشرق عموماً والعرب خصوصاً، ومن ضياع السلطة وحب البقاء والتمكّن، مع ذلك يظلّ الحفاظ على الهويات الهاجس الذي تعانیه كلا الأطراف.

كما تحتوي الرواية كجنس أدبي منظومة المبادئ القيمية الإيتيقية، التي أراد الروائي أن يبنيها في نصه الإبداعي والتي يمكن استشفافها من منطلق القراءات المتعددة والمنفتحة بالولوج إلى المواقف والرؤى والشخصيات المتصارعة بكل أبعادها الاجتماعية، السياسية الإيديولوجية، وحتى والأخلاقية/ الإيتيقية. وهو ما سيكون التركيز منصّباً عليه في هذه المقاربة بمحاولة تتبّع وتفصّل أخلاقيات التعامل مع الآخر في ضوء الأنا، ومواقف ورؤى الكاتب الفلسفية والإيتيقية لـ "أحمد الهادي رشاش" في روايته (ربيع الكورونا) انطلاقاً من السعي إلى الإجابة عن الإشكالية العامة والمتمثلة في: ما تمثيلات إيتيقا الاعتراف بالآخر في رواية (ربيع الكورونا) لـ "أحمد رشاش"؟ لتندرج على ضوء ذلك، تساؤلات فرعية منها:

- ما معنى الإيتيقا؟ وما إيتيقا الاعتراف بالآخر؟
- ما أدب الوباء؟ ما حقيقة فيروس كورونا؟
- كيف كانت تمظهرات إيتيقا الاعتراف بالآخر في رواية (ربيع الكورونا)؟ وهل تعكس هذه الرواية إيتيقا الكاتب "رشاش"؟

وتأسيساً على المعطيات الأنفة الذكر، فإنّه تتراءى لنا المقاربة التأويلية نظراً لأنّها الطريقة والآلية الأنسب لتتبّع تمثيلات إيتيقا الاعتراف بالآخر في هذه الرواية والوقوف على مواقف الكاتب "أحمد الهادي

¹ - بول ريكور: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، (ط1)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005م، ص، ص: 53، 54.

² - أشواق خلفاوي، نورية خالف: في فلسفة الاعتراف بالآخر والتعايش السلمي عند يورغن هابرماس، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسبية بن بوعلی الشلف، الجزائر، مج15، ع01، 2023م، ص: 270.

شرشاش " ورؤيته والَبَحْث عَنْ المعنى المتواري والقابع وراء الأبنية اللغوية، (مَعْنَى المعنى)، بتأويل وتفسير أحداث الرواية ووقائعها.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

في مستهل الحديث عن إيتيقا الاعتراف بالآخر في رواية (ربيع الكورونا) لمؤلفها "أحمد الهادي شرشاش" كان لزاماً علينا في البداية التعرض لبعض المفاهيم لأجل تقريب القارئ من تفكيك بعض المصطلحات المتعلقة بمتغيرات المقاربة، وإن كانت هذه المفاهيم في حدّ ذاتها تتشابك وتداخل وتختلف باختلاف وجهات النظر حولها وعليه، يمكننا تقديم ما أمكننا من مفاهيم لكل من: الإيتيقا، الاعتراف بالآخر، أدب الوباء... إلخ.

المطلب الأول: مفهوم الإيتيقا

يعدّ مصطلح الإيتيقا من المصطلحات الحداثيّة التي ذاع صيتها في الدراسات النقدية والفلسفية الحديثة، وهو البديل المعاصر لمصطلح الأخلاق، وإن كان هناك من النقاد والفلاسفة من رأوا أنّه لا توجد حدود فاصلة بين المصطلحين كونهما يعنّيان بالعادات والأعراف، وتتبع سلوك الإنسان والحكم عليه إمّا خيراً أو شراً، وعلى هذا الأساس، فقد اختلف النقاد والفلاسفة حول هذا المصطلح وأعطى كل واحد له مفهوم انطلاقاً من زاوية الرؤية والمرجعية، فإذا عدنا لمصطلح الإيتيقا فإنّنا نجد أنّ أصل « مفهوم لفظة إيتيقا (Ethos) حددها هوميروس بالمعنى العيني السكن أو المنزل أو مأوى الحيوانات ويظهر في الاتيقا الترابط بين الطبيعة والتربية. أن مفهوم الاتيقا وظف سابقاً وله مرجعية تاريخية.¹ وبالتالي فالإيتيقا تتعلّق في بدايتها بمعان لها دلالات مادية بحثة حيث كانت تعني السكن، المنزل، المأوى ... إلى غير ذلك، من المسميات المادية حسب ما جاء به "هوميروس"، لتتطوّر بمرور الوقت وتصبح حمّالة لمعان أكثر وظيفية ولترتبط بالأفعال الصادرة عن الإنسان خيراً أو شراً. منتقلة من الأشياء المادية إلى سلوكات الإنسان، إذ يذهب "أرسطو" إلى أكثر من ذلك وهو إعطاء المفهوم حدود أوسع وربطه بالفلسفة؛ وتأسيساً على ذلك، فقد « أعطاه الدلالة الفلسفية ووظفه توظيفات متعددة، تبعاً للدلالات وجمع اتيقات تشير إلى ما يتأدب به فرد أو نوع أو شعب أو مدينة ويعرف أرسطو الاتيقا: معرفة متعلقة بالفعل وترتبط بالخير الأسمى الذي هو السعادة، والسعادة عند أرسطو تتمثل في فعل خلقي يتحدد في التأمل

¹ - ول ديورانت: قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، (ط5)، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1985م، ص: 63.

كنشاط عقلي يتماهى والفضيلة أما كلمة البيوتيقا مشتقة من الجذر اليوناني الحياة كلمة تحمل معنى الحياة والسلوك أخلاق الحياة وأخلاق علم الحياة.¹ لتتعدد بذلك الإيتيقا وألفت إيتيقيات، منها إيتيقا الحياة، إيتيقا السعادة، إيتيقا الطب، إيتيقا البيئة، وهي مسميات بات متعارف عليها حالياً في الدراسات الفلسفية والنقدية، وإنه من الأساس، أن "أرسطو" « قد تكلم عن هذا التصور في كتابه الأخلاق لنيقوماخوس أو حتى بالنسبة للاتيقا عند سبينوزا. ومن هنا سميت أخلاق أرسطو بالأخلاق الكبرى، وأخلاق سبينوزا بالأخلاق الوسطى وأما ريكور فالأخلاق الصغرى.² وبالتالي، فهي تختلف باختلاف التوجهات الفكرية والفلسفية لأصحابها.

وعلاوة على ذلك، فإن الإيتيقا « جملة المبادئ المحددة للكيفية الجيدة للحياة وللتعامل مع الآخرين، وتكون الأخلاق الجهد الساعي إلى وضع هذه المبادئ موضع تطبيق بصيغة دقيقة الاتيقا نظرية والأخلاق العملية فالأولى تنحو باتجاه تعريف القواعد والثانية باتجاه الفعل الظرفي وهذا ما يبيته الفيلسوف الألماني هيغل على أن الأخلاق أمر يتوجب إلى الفرد بينما الاتيقا أمر يفترض وجود مجتمع من الذوات الأخلاقيين، فالأخلاق تشير إلى وجود القصد الذاتي، بينما تشير الاتيقا إلى سيادة الأخلاقية أو الاتيقية لاشك في أن المعيار حضر في الأخلاق والإيتيقا جميعاً ولكن المعيار الإيتيقي ليس أمراً مثل ما هو عليه في الأخلاق.³ » بمعنى الإيتيقا هي الأساس النظري الذي تقوم عليه الأخلاق التي هي الجانب التطبيقي في الواقع. وكما يرى (Antony flew) في معجمه الفلسفي (A Dictionary of philosophy) أن « (ethics) تشير إلى مجموعة المعايير التي تقرر من خلالها مجموعة معينة أو مجتمع معين تنظيم سلوكها لتمييز ما هو مشروع أو مقبول في السعي لتحقيق أهدافها وما هو غير ذلك.⁴ » هذه الضوابط هي التي تنظم المجتمع وتجعل أفراده يسرون وفق منظومة قيمية ويتبعونها في حياتهم تحت مسمى الأخلاقيات، وانطلاقاً من ذلك يستطيع هؤلاء التمييز بين ما هو صائب وما هو خاطئ. بين الجيد والردىء، الخير والشر... إلى غير ذلك. ومن جهة أخرى يذهب "الناصر عبد اللاوي" إلى أنها: « تشير إلى مجموع القيم الأخلاقية، الفعل والتاريخ، تعد الأسرة والمجتمع المدني والدولة لدى

¹ - المرجع نفسه، ص: 63.

² - بول ريكور: العادل، تر: محمد البحري وآخرون، تنسيق فتحي التريكي، (د. ط)، المجمع التونسي، للعلوم والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2003م، ص: 56.

³ - بول ريكور: الذات عينها كآخر، مرجع سابق، ص: 343.

⁴ - Antony flew: A Dictionary of philosophy, first edition, published by pan books Ltd, cavage place, London, 1979, p104.

"هيجل" (Hegel) أشكالاً من الإيتيقا.¹ أي أنّ ما تعلّق بالقيم يندرج ضمنها، من خير وشرّ، صف إلى ذلك، حتّى أنّه في هذا الموضوع بالذات ربطها بالأسرة والمجتمع والدولة، بمعنى أنّ هذه الجهات تمارس تعاملات في إطار إيتيقي.

ومن جهة أخرى يذهب "جلال الدين سعيد" في (معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية) إلى تقديم تعريفاً لهذا المصطلح انطلاقاً من طرق باب التمييز بين الأخلاق (Morale) وعلم الأخلاق (Ethique) وتأكيداً على ذلك فإنّه يقول: «المقصود بالأخلاق معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزّه عنها. وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلّق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة»²؛ في سياق تعريفه، يميز صاحب المعجم بين المصطلحين بناءً على أنّ الأخلاق تعني بفهم الفضائل وكيفية اكتسابها، وتجنب الرذائل. هي تتعلّق بالتمييز بين الأفعال الجيدة والسيئة التي يقوم بها الإنسان، سواء كانت محمودة أم مذمومة. أما علم الأخلاق، فيركّز على دراسة المبادئ والقيم الأخلاقية من منظور نظري. وبالتالي، يتضح أنّ الأخلاق تتعلّق بالجانب التطبيقي، بينما علم الأخلاق يهتم بالجوانب النظرية والنظريات العامة. ولعلّه من المفيد أن نوّكد، وحسب "عبير سعد" التي عرضت لكلام "هابرماس" (Jürgen Habermas) أنّ كلّ مرحلة تمرّ بها المجتمعات البشرية يصاحبها تغيير في تلك القواعد، ولقد بلغ التغيير أوجّه في المرحلة المعاصرة حيث إنّ الأخلاقيات في تشكيلها الجديد قد رفضت كلّ صور الأخلاقيات التقليدية المرتكزة على الدين أو الميتافيزيقا أو المنفعة، ولأنّه من الضروري الانطلاق نحو أخلاقيات جديدة تناسب طبيعة التحوّلات المعاصرة التي طرأت على واقعنا المعيش.³ ووفقاً لهذا الطرح، فإنّه أمكننا القول أنّ الإيتيقا في حلّتها الجديدة قد تطوّرت واختلف مفهومها عبر العصور، ففي كلّ فترة من فترات تطوّر البشرية يعترضها تغيير في الضوابط والقواعد والمنظومة والقيم؛ كما رفضت الأخلاقيات التقليدية والتمثّلة في الميتافيزيقا والدين، وهو ما نلاحظه عند إمعان النظر في المجتمعات الغربية التي كانت تحت سيطرة الكنيسة والماورائيات. وبالنظر لجانب القيم والإيتيقا، فإنّه لا بد في بادئ الأمر من معرفة المبادئ والنظريات العامة لها، انطلاقاً من عدّ "هومي. ك. بابا" «بنية الفكر الأخلاقي، كما يساجل وليامز، أن

¹ - الناصر عبد اللاوي: معضلة الإنساني وسؤال القيم، مرجع سابق، ص، ص: 23، 24.

² - جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د. ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م، ص: 23.

³ - عبير سعد: أخلاقيات المحاجة قراءة في مشروع هابرماس الأخلاقي ومضامينه النظرية، الاستغراب، صيف 2016م، ص، ص: 184، 185.

يسعى لأن يطبق ما لديه من المبادئ على العالم ككل.¹ وناهيك عن ذلك، فإنه لا بد من أن يجب أن تكون هناك مبادئ مشتركة إن صحّ التعبير تحكم العالم في إطار إجراءات ضوابط ومبادئ يتفق عليها للسير بها، وإن كانت في مجملها تختلف نوعاً ما باختلاف المجتمعات، حسب تكويناتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها التي تنعكس بدورها على المنظومة الأخلاقية.

المطلب الثاني: مفهوم إيتيقا الاعتراف بالآخر:

إن الحديث عن إيتيقا الاعتراف بالآخر إنّما هو حديث يستلزم الإشارة إلى الأخلاقيات التي يجب اتّباعها في التعامل مع الآخر، هذا الأخير الذي بدوره عليه الامتثال لها في إطار هذه العلاقة المتبادلة، ومن أهم الفلاسفة الذين اهتموا بهذه المسألة نجد الفيلسوف العقلي "كانط"، ومن الفلاسفة الحداثيين نجد الفيلسوف الفرنسي "إيمانويل ليفيناس" من خلال حديثه عن إيتيقا الوجه، إيتيقا الغيرية، إضافة للفيلسوف "يورغن هابرماس" من خلال نظريته إيتيقا التواصل. وهو ما سنشير إليه في هذا الإطار، بداية بـ "كانط" الذي تعرّض في كتابه « نقد العقل العملي إلى ذكر مسألة الاحترام في معرض حديثه عن الحوافز العقلانية رغم أن الاحترام لا يمثل في نظر "ريكور" (Paul Ricœur) إلا أحد الدوافع القادرة على جعل فاعل أخلاقي يميل إلى القيام بواجبه وبالمكان استعراض المشاعر الأخلاقية مثلما تصور الفيلسوف الألماني "ماكس شيلر".² فالإيتيقا تكمن في نظرهم في السلوكات الناتجة عن فعل أخلاقي نابع عن القيام بالواجب، في إطار احترام الآخر الذي يكمن إدراكه انطلاقاً من ذواتنا. وهذا إن دلّ على شيء؛ إنما يدلّ على أنّ الإيتيقا الكانطية تعتمد على الإرادة الخيرة ويستهلّ "كانط" في كتابه (تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق) قائلاً: « من بين ما يمكن تصوّره في العالم بل بوجه عام خارج العالم ليس ثمة ما يمكن اعتباره خيراً دون تحفظ إن لم يكن الإرادة الخيرة... »³. ففي ظل هذه الأخيرة، يكون بذلك الإنسان يسير وفق ضوابط احترام والاعتراف بالآخر المخالف له في العادات والأعراف، كما أنّ هذا الاحترام مرتبط باحترام الذات كفاعلة أخلاقية.

لذلك يجب الأخذ بالحسبان، أن « الهوية الذاتية (identité-ipse) تحرّكها دياكتيكاً إضافياً للذات والعينية هو دياكتيك الذات والآخر غير الذات فنحن حين نبقي ضمن دائرة الهوية العينية، فإن

¹ - هومي. ك. بابا: موقع الثقافة، تر: نائر ديب، (ط1)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص،

ص: 226، 227.

² - بول ريكور: العادل، مرجع سابق، ص: 62.

³ - بول ريكور: العادل، مرجع سابق، ص: 82.

غيرية الآخر المختلف عن الذات لا تمثل شيء أصيل: الآخر يصبح كما لاحظنا على لائحة الأضداد لكلمة عينه، إلى جانب كلمات النقيض والمتميز والمختلف والمتنوع إلخ في حين أن الأمر يختلف لو نحن جمعنا بين كلمة الغيرية مع الذاتية، إن غيرية مختلفة أو على الأقل ليست فقط للمقارنة يوحي بها عنواننا، إنها آخريّة يمكن أن تكون مكونة للذاتية نفسها، الذات عينها كآخر يوحي منذ البداية بأنّ ذاتية الذات عينها تحتوي ضمنا الغيرية إلى درجة حميمية، حتى أنّه لا يعود من الممكن التفكير في الواحدة دون الأخرى.¹ وإن كان هذا التضاد بين الذات والآخر يبدو في ظاهره تضادا في اللفظ إلا أنّها في حقيقة الأمر لا ذات دون آخر تدرك من خلاله وتعيش في ظلّ اختلافه، فكلاهما يحتاج للآخر، ولكن في إطار علاقة إيتيقية مبنية على الاحترام دون الذوبان، مع الحفاظ على الهوية.

المبحث الثاني: إيتيقا الاعتراف بالآخر: مقارنة تأويلية في رواية (ربيع الكورونا) لـ "أحمد الهادي شرشاش":

المطلب الأول: ربيع الكورونا وأدب الوباء

تعد رواية (ربيع الكورونا) (2022م) من أهم الروايات المعاصرة التي عالجت موضوع إنساني مستجد ألا وهو وباء كورونا (covid19) الذي انتشر في العالم ككل في مدة وجيزة، وكانت انطلاقته الأولى في ديسمبر (2019م) في يوهان الصينية، ليتسع ويستشري في بقية دول العالم، فما أن واكبت هذه الفترة ظهور العديد من الكتابات التي ندّدت بهذا الفيروس المميت، والتي تتدرج ضمن بما عرف بأدب الوباء، كما قد ظهرت من قبل العديد من الأمراض التي تضاهي خطورة وباء الكورونا فتكا بالإنسان أو أقل منه بقليل، على اعتبار أن « أدب الأوبئة لم يكن وليد اللحظة إنّما له جذوره وامتداداته التاريخية في حياة البشر، ليعبر عن آلامهم وآمالهم في لحظات الضعف البشري أمام الأوبئة والجوائح.»² بمعنى أن أدب الوباء له امتداد في عمق الوجود البشري، إذ من خلال استطاع الأديب تجسيد كثير من الجوانب الحياتية، وإن كان ليس تسجيلا واقعيا؛ إلا أنّه عكس هذا الواقع كما أراد له المبدع أن يكون لا كما هو كائن، فأدب الأوبئة ليس ظاهرة جديدة، بل هو تجسيد لتجارب بشرية مؤثرة عبر التاريخ. كما يعكس هذا الأدب صور الضعف الذي تسببه الأوبئة والجوائح.

¹ - بول ريكور: الذات عينها كآخر، مرجع سابق، ص: 72.

² - حسين عمر دراوشة: أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1، الجزائر، مج03، ع01، مارس 2021م، ص: 09.

وعلى هذا الأساس، فإنه يمكن القول: « للوباء في أحد جوانبه تأثير على الحياة الاجتماعية في المجتمع، وبالتالي يلتقي الأدب مع الوباء في أن كليهما أحد أشكال التأثير المتبادل مع المجتمع، ينبعان من المجتمع ويؤثران فيه، والأدب يخرج من رحم المجتمع متأثراً في ذلك بما فيه من فرح وحزن وألم.. والأديب يخاطب القارئ، ويعيش تجربة يستشعرها القارئ عبره.¹ الوباء يؤثر بشكل كبير على الحياة الاجتماعية، ويعكس الأدب هذه التأثير بتعبيره عن مشاعر الناس وتجاربهم من خلال الأدب؛ هذا وينقل الأديب تجاربه عبر نصوصه ليتمكن القارئ من استشعارها ويتفاعل معها. كما يسهم الأدب في تقديم فهم للآزمات والتحديات التي تواجه المجتمع، مما يزيد الوعي والتواصل بين الأفراد.

كما يمثل الوباء السياق الثقافي الذي أحاط بالمجتمع، وفهم السياق الثقافي ضرورة لا مفرّ منها لفهم هذا النص الإبداعي². فالوباء بمثابة السياق الثقافي الذي يحيط بالمجتمع، وفهم هذا السياق يعد ضرورياً لتحليل النصوص المتعلقة به. إدراك السياق يساعد في تفسير المعاني والرموز التي تتجلى في الأعمال الأدبية.

وبناء على ذلك، فقد كانت رواية (ربيع الكورونا) للروائي الليبي "أحمد الهادي رشراش" بمثابة وثيقة تصويرية لهذا الواقع الموبوء ليس كما هو؛ وإنما كما أراد له "رشراش" أن يكون، في قالب جمالي تخيلي، حاملة للعديد من المحمولات الاجتماعية الإيديولوجية، السياسية، الثقافية وحتى الإيتيقية/ الأخلاقية. وقد أراد "رشراش" من وراء عنوانه روايته (ربيع الكورونا) الاستشعار بانتهاء هذا الوباء وعودة الحياة إلى طبيعتها، فمن الهولة الأولى يتبادر للقارئ تساؤل مفاده كيف للكورونا أن تكون ربيعاً؟ وما إن يطالع الرواية يستشف من وراء كلام الروائي، أنه استشعار بانقضاء الوباء وعودة الازدهار للعالم، حيث « أن قراءة الرواية والوقوف عند دلالاتها كفيل بالإجابة عن هذا التساؤل... فقد رسمت حدود علاقة عاطفية أزهرت وأينعت في ظلّ جائحة كورونا، بل إنها سببها المباشر، حيث كان اللقاء الأول في مطار بكين هروباً من خطر الفيروس، وبسببها كانت شرارة الحب الأولى، وفي ظلّها تحوّلت إلى عشق لا ينتهي بين "عمر" و"ألفة الطرابلسي" بطلتها.³ فهذه الرواية تجسّد كل آمال الكاتب بمرور أزمة الكورونا، التي

¹ - هاني إسماعيل رمضان وعماد عبد الباقي علي: تجليات كورونا في الشعر المعاصر، دراسة نقدية، (ط1)، المنندى العربي التركي للتبادل اللغوي، تركيا، 2021، ص: 16.

² - المرجع نفسه، ص: 16، 17،

³ - نوال قرين: جائحة كورونا وجدلية الوجود والعدم في رواية "ربيع الكورونا" لأحمد رشراش، ضمن كتاب، مجموعة مؤلفين: ربيع الكورونا مستويات التلقي ومسارات التأويل (مقاربة نقدية)، إعداد وتقديم: سماح حمدي، (ط1)، دار أم الدنيا، القاهرة، مصر، 2022م، ص: 245.

ولدت قصة الحب بين "عمر" والبطلة، والتي كانت السبب في توطيد العلاقات بين العديد من الدول وتضامنها الصين والدعم الذي تلقتة من عديد الدول وأيضا مبادرتها أيضا، فكانت بمثابة موطن الداء والدواء.

المطلب الثاني: تمثيلات أخلاقيات الاعتراف بالآخر في رواية (ربيع الكورونا)

سيتم هنا التركيز على إيتيقا الاعتراف بالآخر في هذه الرواية، وذلك بتتبع تجليات أخلاقيات الاعتراف بالآخر واستشفاف خباياه، ومواقف المؤلف من ذلك، استنادا لآراء الشخصيات المتصارعة وتساعد وتيرة الأحداث السردية. فالنظام الكوني يسير وفق ثنائيات ضدية منها الحياة/ الموت، السعادة/ الحزن، الذات، الأنا / الآخر، وهذه الأخيرة تقتضي من الإنسان في تعاملاته أن يكون يمتلك كيفية التعاطي والآخر وأن يعترف بوجوده، وهناك من الفلاسفة من نادوا بضرورة أن يكون الإنسان أخلاقي بالدرجة الأولى في تعاملاته مع الغير ومن بينهم الفيلسوف العقلي "كانط" في الواجبية؛ إذا أن « ما تريد واجبية كانط أن تشدد عليه هنا هو قضية العنف في التعامل مع الآخر، هذا العنف المتأتي أصلا من إرادة الاستغلال المحفورة في بنية التعامل الإنساني، إن ما كان في الأخلاق رعاية قائمة على احترام الآخر، يصبح هنا مع الواجبية هذا الواجب الأخلاقي الذي يقينا من السقوط في عنف الاستغلال أو التهديد بالعنف أو اللجوء إليه»¹ فلولا وجود الآخر لما استطاعت الذات إدراك ذاتها وتمييزها في إطاره، وإن هذا الآخر لا يجيد فن التعامل معها إذ نجده جعل منها طرفا معاديا مثلما يحدث بين العرب والغرب، الذين طالما نظروا إلينا نظرة دونية «علاوة على إحاطة زملائي بي (جانغ لي من الصين ورابح من الجزائر، وثامر من مصر، والحسن من البحرين، ودروغا من ساحل العاج، وميشال من فرنسا، ودييغو من الأرجنتين وغيرهم) فقد كانوا جميعا يشجعونني ويحاولون رفع معنوياتي»² إذ ارتأى "أحمد رشراش" إيصال فكرة للقارئ تتمثل في أنه يجب على الإنسان مهما اختلفت جنسيته وعاداته ودينه أن يحترم الآخر، والدليل أن البطل "عمر" أثناء دراساته العليا بالصين تعرّف إلى أصدقاء من كلّ نواحي العوالم وهم من شجعوه أثناء مناقشته لرسالته. هذا إن دلّ على شيء؛ إنما يدل على الاحترام المتبادل بينهم، فالواجب الأخلاقي يفرض ذلك، وفي ذكره لأسمائهم وجنسياتهم دلالة على الاعتراف بهم، وباختلافهم عن "عمر". لكن ذلك لا يعني تماما الذوبان في الآخر والانسلاخ من الهوية وإنما يكون الانفتاح إيجابيا، وكما يقول: "عبد الناصر عبد اللّوي" في أثناء حديثه عن الانفتاح عن الحضارات وخطورة الانسلاخ الذاتي:

¹ - بول ريكور: الذات عينها كآخر، مرجع سابق، ص: 54.

² - أحمد الهادي رشراش: ربيع كورونا، (ط1)، منشورات ابن عربي، تونس، 2020م، ص: 34.

«إنّ هذا لا يعني الانفتاح على الحضارات الأخرى هو الانصهار التام في المؤسسات الاقتصادية والسياسية بموجب مركزية القطب الواحد بل هو مليئاً بالعراقل التي قد تحملنا على فقدان الهوية المحلية التي تخصنا، باعتبارنا مجتمعات تجمعنا روابط ثقافية ودينية موحدة. حيث يطرح لدينا الكيفية التي تضمن لنا فعاليتنا في العالم. إنّ هذا الأمر يجعلنا ندرك "نحن" بما تضمنته من إمكانيات الصمود أمام العقل التقني وتوجهاته السيبرنيطيقية.¹ فأيّ علم لا بد أن يسير وفق قانون إيتيقي/ أخلاقي يحكمه وإلا فإنه سيؤدي إلى ما لا يحمد عقابه، لا سيما فيما ينتجه العقل التقني والذكاء الاصطناعي اليوم.

ومن زاوية الأخرى، فإنّ الروائي أراد فضح التواطؤات التي تحدث بين الإعلام وأجندات خارجية والانحيازات لأطراف تريد القضاء على الذات الليبية الأصيلة للوصول إلى الحكم، فعملت على زرع الفتن والغارات وهذا فيه عدم احترام للحريات المخالفة لهم، وبالتالي اللجوء إلى العنف والاستغلال والاستبداد ما يظهر لا أخلاقية التعامل مع الآخر، إذ يقول على لسان السارد "عمر": « بعض القنوات الفضائية الليبية الجديدة، تخدم أجندات خارجية، وتتلقّى دعماً خارجياً، وتبنّت مواقف سياسية معيّنة، وانحازت إلى طرف ضد الطرف الآخر، وابتعدت عن المهنية، وزوّرت الحقائق، ولفّقت التّهم. وحرّضت على الفتنة، وأثارت نقع الشقاق..² ، فعلى الإنسان أن يكون إيتيقياً في تفكيره اتجاه الآخر، وهنا تكمن الإيتيقا في العمل على أخلة الفكر نحو الآخر والاعتراف بمبدأ الاختلاف بين الأنا والآخر. وكما يقول "محمد حيدر" في إطار حديثه عن السلوكات الناتجة العلاقة بين الغرب والعرب ولماذا الغرب تقوم بسياسة الاستبداد والعنف اتجاه الدول الضعيفة لا سيما العربية هذا لأن - حسب - «غريبة الغرب هي غريبة مشحونة بالخوف على الذات من الآخر إلى هذا الحد، فلن تكون في مثل هذه الحال سوى إعراب ببن عن ظاهرة هستيرية لا تقوم قيامها إلا بمحو الآخر أو إفناءه. سواء أكان محو رمزيا، أو عبر حروب إبادة للغير لا هوادة فيها.³ وبالتالي، فإنّ هذه المعاملة من الغرب نتيجة حب البقاء والخوف على الذات من العرب، الذي طالما كانوا يمثلون بالنسبة لهم طرفاً يريدون سلب حياتهم وسعادتهم، فهو يخالفهم الدين، ما يؤدي بهم إلى الغطرسة وإقامة الحروب والقتل، ومحاولة القضاء نهائياً على الآخر، وحسب "إيمانويل ليفيناس" (Emmanuel Levinas) فإنّ « الغريبة لا تعني البتّة

¹ - الناصر عبد اللاوي: معضلة الإنسان وسؤال القيم، مرجع سابق، ص، ص: 132، 133.

² - أحمد الهادي رشراش: ربيع الكورونا، مصدر سابق، ص، ص: 51، 52.

³ - محمود حيدر: الغريبة البتراء حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ع10، السنة الرابعة، شتاء 2018م، ص: 09.

الاختلاف؛ أي إن الذي أمامي هو إنسان له أنف مختلف عن أنفي، وعينان بلون مختلف، وله سلوك مختلف. هذا ليس اختلافاً، إنه غيرية الغيرية: إنها تعني أمراً غير قابل للمقارنة، متعالياً (transcendant). أنت لست متعالياً من خلال بعض الملامح المختلفة.¹ هذا التعالي سيؤدي بهم حتماً إلى محاولة فرض القوة والسيطرة ومحاولة الوصول إلى الآخر، وذلك بالعمل على زرع الجواسيس في الدول الضعيفة لضرب أمن الدولة والسيطرة عليها، وشراؤهم بالمال لقول الكاتب على لسان البطل عمر متحدثاً مع "ألفه" عن الخيانة من قبل بعض الأطراف الداخلية: «أجل، لقد باع أولئك ضمائرهم للشيطان، ونسو حظهم مع الله، فبعضهم يشتري بالمال، وآخرون يميلون إلى ذات الشوكة!».² فما حدث للدولة الشقيقة ليبيا والدول الأخرى المجاورة، ودولة فلسطين العربية كان نتيجة الخوف على الذات من الآخر.

فالكاتب "أحمد الهادي رشراش" يسعى لبث الوعي انطلاقاً من عمله الإبداعي لإرساء إيتيقا الاعتراف بالآخر، الذي لا يعترف بنا أصلاً، فهو يرى أنه لو كان هناك من الغرب من عمل على تطبيق الأخلاقيات واعترفوا بوجودنا لما كان ذلك كله ليحدث في العالم، فنتيجة الحرب بين الصين وأمريكا ظهر فيروس كورونا الذي أوشك على تدمير العالم وبث الموت في أرجائه وزرع الفتن، وإطلاق أسلحة بيولوجية التي تفتك بالإنسان. «فهناك من رأى بأنها حرب بيولوجية أو حرب عالمية ثالثة بين القوى العظمى في العالم تستهدف تغيير النظام العالمي وغيرها من الأفكار التي تعبّر عن نفس المعنى، ومن ثمة فهي لعبة سياسية مصنوعة، في حين رأى البعض الآخر أنها لعنة من السماء كعقاب للإنسان نتيجة ما ارتكبه من آثام وشُرور في العالم... إلخ».³ وتبقى هذه رؤى تمّ تداولها انطلاقاً من تحليلات سياسية بحتة، فالحروب البيولوجية بين القوى الكبرى في العالم، هي التي تؤدي إلى كوارث تؤدي بحياة البشرية، تحت مسمى التكنولوجيا والتقانة الحديثة، كما يقول "أحمد الهادي رشراش" على لسان السارد "عمر": «وإنّ الأسوأ من ذلك هو الحروب المتكررة، والانفلات الأمني، والقتل، والخطف، والحاربة، والنزوح، والتهجير؛ الأمر الذي دفعنا للهجرة إلى تونس، مثل الآلاف، إن لم يكن الملايين، من الليبيين المهجرين في تونس، ومصر، وتركيا، والمغرب، وغيرها من دول العالم».⁴ وعلى العكس من ذلك تماماً فإنهم

¹ - إيمانويل ليفيناس: مفارقة الخلقية، حاوره: تامرا رايت وآخرون، الاستغراب، ص: 14.

² - أحمد الهادي رشراش: ربيع الكورونا، مصدر سابق، ص: 67، 68.

³ - هشام مصباح: كورونا وسؤال الأخلاق نحو ميثاق إنساني جديد، (ط1)، ألفا للوثائق للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2022م، ص: 146.

⁴ - أحمد الهادي رشراش: ربيع الكورونا، مصدر سابق، ص: 54.

يسعون طوعاً إلى جعل الآخر أقلّ قوّة وسلطة منهم، فيمارسون عليهم أساليب وطرق لا أخلاقية. فنلغيهم يهجّرونهم من أراضيهم وتسلب منهم كرها والدليل قول البطل "عمر" متحدّثاً إلى "ألفه الطرابلسي": «حيث هاجرنا من ليبيا، بسبب الحروب الدامية، التي دارت هناك منذ عام (2011م) وكذلك لسوء الظروف المعيشية، وتردّي الأوضاع الأمنية، شأننا شأن الآلاف من العائلات الليبية المهاجر، والمهجّرة خارج الوطن! علاوة على السبب الأبرز، هو حاجة والدي إلى العلاج والراحة النفسية، وهما أمران يصعب تحقّقهما بليبيا، في ظلّ الظروف التي تمرّ بها البلاد؛ فقرّرت مغادرة بكين إلى تونس...»¹ فقد حرم أهل ليبيا في تلك الفترة من أبسط الحقوق حتّى العيش الكريم، فباتت تعاني الانقسام والانشطار في ضوء الحروب التي استشرت فيها فانقسمت بين معارضين للحكم، ومؤيدين وهي إلى اليوم منقسمة إلى شمال وجنوب، فإذا بالأهالي تُهجّر وتخرج من ديارها إلى أماكن غير وطنها ويضيف السارد "عمر" متكلماً في هذا الشأن قائلاً: «ثمّ اشتدّت الحرب في منطقتنا (حومتنا) فاضطررنا إلى النزوح، وتركنا بيتنا، واستأجرنا بيتاً آخر، في منطقة أخرى؛ فإذا بالحرب، بعد شهرين، تتبع خطانا، كأنما نشبت لأجل تهجيرنا من بلادنا! فاضطررنا إلى النزوح مرة أخرى.. إنّه لَمِن المؤلم على الإنسان أن يعيش في وطن بلا دولة.. (قولاً: كلنا نحبّ ليبيا، وفعلًا: كلنا ندمرُها!)»² فالروائي "أحمد شرشاش" يكشف خبايا الفترة العسبية التي عاشتها ليبيا ولا زالت نتائجها إلى اليوم، فهي مهزوزة سياسياً، وأنظمتها تم السيطرة عليها، وتتحكم فيها أياد خفية تحاول زعزعة الأمن واستقرار البلاد.

كما أنّ الكاتب حينما يتحدّث عن الربيع العربي الذي معه عرفت ليبيا طفرة في الاعلام وتغيرت فيه الأحوال التي لطالما «انتظرها الليبيون بفارغ الصبر ليتفاجؤوا بما هو أعظم من ذي قبل، اذ استبدلوا الجلاذ بجلادين غيرهم وهو ما يظهر انطلاقاً من قول الراوي: فقد طال زمن معاناتنا، ومَرّت علينا أعوامٌ عجافٌ، بعد أن عصفت بنا في بداية (2011م) رياح التغيير، التي كنّا نتوق إليها منذ عقود من الزمن، متطلّعين إلى استنشاق نسيمات الحرية، متشوّقين إلى التحول إلى الدولة المدنية، دولة القانون والمؤسّسات، التي تقوم على الديمقراطية، وتتيح لكل فرد حق تقرير المصير، فإذا بنا نستبدل الجلاذ بجلادين، والطاغوت بطواغيت، وإذ بالإرهاب يضرب بأطنابه في بلادنا، فتقطع الرؤوس ويلعب بها ككرة القدم بين الأقدام؛ فأصبنا مصاباً جلاً في أمننا واستقرارنا، فالوضع كل عام يزداد سوءاً والحروب ما تفتأ تدقّ طبولها وتستعر حدّتها في المدن الليبية، إلى أن نشبت الحرب الأعنف في الصراع الليبي،

¹ - المصدر نفسه، ص: 38.² - المصدر نفسه، ص: 53.

بالعاصمة الليبية طرابلس، منذ مستهل شهر أبريل (2019م) ولم تضع أوزارها بعد.¹ وهذا الكلام فيه إقرار بالأوضاع المزرية في ليبيا وما تعانيه من جزاء عوان الآخر وتفكيره بالقضاء عليها وتقلد زمام الحكم فيها، فيكون الآخر هنا بمثابة المتعالي الذي يجسد صورة الغرب كما أريد لها أن تكون، وعلى هذا الأساس، « يؤكد ليفيناس من خلال كتبه بأنّ "الإنسان نفسه لا يبتلع الآخر ولا تمتص الذات الآخر ولا تخوض في حرب معه حتى الموت." ² كما أنّ هذا الأمر لا ينفى حتما إيجابية الآخر لا سيما عند تبادل الثقافات ومحاولة الأخذ عنها بما يتناسب وعاداتنا، ووضع ما يأتي منه موضع الغربة والاستفادة من المناهج والدراسات التي قدّمت حولهم، وحول ذاتنا خصوصا.

كما لا يفوتنا التنويه إلى أنّه لا يمكن للذات أن تكون دون الآخر، فبالآخر ندرك ما يختلج ذواتنا وما يميّزها ويجعلها تختلف في ضوء الآخر؛ «فالعيش الجيد الخير مع الآخر.. ولابد من أن تخضع لمعيار جديد، لصيغة جديدة للأمر الأخلاقي المطلق، الصيغة الأولى ظلت صورية شكلية، أما الآن فلا بد من صيغة تنبّه إلى أمر خطير في العلاقة مع الآخر وقد صاغها "كانط" هكذا: "أفعل على نحو تعامل معه الإنسانية في شخصك، كما في شخص غيرك كغاية دائما، وفي الوقت نفسه لا مجرد وسيلة البتّة" إنّ فكرة الإنسان كغاية في حد ذاتها تضيف شيئا مهما إلى فكرة احترام الآخر ورعايته. كما كان الحال في الأخلاق.» ³ وبالتالي، يتوجب إقامة إيتيقا تعترف بالآخر، وفي الوقت ذاته تكون هذه الإيتيقا متبادلة بينهما على أساس التعايش السلمي دون المساس بحقوق الأفراد مع الحفاظ على ما هو ملك لهم، دون اللجوء إلى الإيديولوجيات المزيفة والأقنعة وادعاء حماية حقوق الإنسان في حين يتمّ التسترّ على انتهاكها والأمر يحصل الآن مع فلسطين. لكن مع ذلك، ووفقا لما جاء به "الناصر عبد اللاوي" « فإنّ ما يجب علينا فعله هو أن نتخلّص من سوء الفهم الذي يندرج ضمن طائفة الأحكام المتسارعة التي تقرّ بالنظرة الأحادية في فهم الأشياء. وهو من شأنه أن ينبئ عن عودة المكبوت الإيديولوجي والسياسي في غطرسة جديدة لخطاب كلياني يبلغ درجة التطرف والإقصاء والتهميش على اعتبار أن ذاتي لا تكون حقيقية إلا بالنسبة إلى الغير ومع الغير، يقول ريكور في هذا السياق "الآخر هو الذي ينظر لي. بل إنّ عملية إثبات الوجود بما هو وجود مشترك لا يمكن أن تتأكد إلا من خلال العلاقة المباشرة مع "فعل

¹ - أحمد الهادي رشراش: ربيع الكورونا، مصدر سابق، ص، ص: 55، 56.

² - صابرين زغلول السيد: تناظر الهوية والدين مسعى لاستقراء تأويلية ليفيناس، الاستغراب، ص: 228.

³ - بول ريكور: الذات عينها كآخر، ص: 54.

(L'action) و"أحداث" الآخر.¹ بمعنى أنّ الذات لا تكون إلا بوجود الآخر الذي يخالفها. فتتواصل معه في إطار إيتيقي، مع الاحترام المتبادل والرعاية هذا من المفروض أن يكون.

ومن زاوية أخرى، يشير الكاتب "أحمد الهادي رشراش" إلى قضية جوهرية وتتمثل في أنّ (coronavirus) كان بفعل إنساني ولم يأت هكذا وهو ما يتجلى ضمناً في كلام الروائي على لسان السارد العليم "عمر" إذ يقول في هذا الصدد: « وكتبت مقالاً، تحت عنوان "كورونا وسؤال المنشأ" تحدثت فيه عن فيروس كورونا، عدو الإنسانية المستحدث وطرحت تساؤلات عديدة عن مصدره، وأسباب تفشيه وانتشاره بهذه السرعة، وهل هو عقاب من الله - سبحانه وتعالى - للبشر ليذكّرهم بضعفهم أمام قدرته المعجزة؟! أو أنه من صنع الإنسان نفسه، طوّرت له أيد خفية، كضرب من الحرب البيولوجية الجديدة، لتحقيق انتصارات سياسية وإعلامية واقتصادية؟ أو أن لشركات الأدوية الكبرى في العالم دوراً في ظهوره؛ ليتم بيع الدواء، أو اللقاح المناسب له؛ لتحقيق أرباح مالية كبيرة؟² » فالتساؤلات التي طرحها الكاتب تتم على وعي بالأحداث ومستجدات الوضع العالمي، وليست مجرد أسئلة لجلب انتباه القارئ. كما يضيف "أحمد رشراش" متحدّثاً عن إمكانية أن يكون نتاج اختبار من الله إلى عباده، لكنه في نهاية كلامه يثبت غير ذلك، لو كان كذلك لما وجد بنشره لمقاله معارضين بشدة وأولهم صاحب الجريدة، لقوله على لسان الراوي العليم "عمر": «انهيته بخاتمة مفادها: إن كان هذا الوباء ابتلاء من عند الله - سبحانه وتعالى - لعباده؛ فنرجوه أن يعجل بلطفه بنا، وأن يصرفه عنا، وإن كانت الأخرى، فإنني أتساءل، متعجباً: هل وصل بعض البشر إلى هذه الدرجة القصوى من الهمجية والانحطاط الأخلاقي؟! نشر المقال في إحدى الصحف، وسط ذهول وسخط من السيد طلال، مديري السابق في القناة الإعلامية التي كنت أعمل فيها، فحاول جيشه الإلكتروني الإبلاغ عن صفحتي، محاولاً مرّات عديدة اختراقها وتعطيلها³ » ما يعني الإنسان المسؤول الأوّل والأخير على ما يحدث في هذا العالم، وإن كان بواسطة أيد خفية تتحكّم في زمام الأمور، وتسييرها بما يتناسب مع مصالح الشخصية.

الخاتمة:

وتأسيساً على ما سبق ذكره، أمكننا تحديد أهمّ النتائج التي خلّصت إليها المقاربة وتتمثل فيما يلي:

¹ - الناصر عبد اللاوي: معضلة الإنسان وسؤال القيم، مرجع سابق، ص: 132.

² - أحمد الهادي رشراش: ربيع الكورونا، مصدر سابق، ص: 67، 68.

³ - أحمد الهادي رشراش: ربيع الكورونا، مصدر سابق، ص: 68.

1- أنّ الإبداع الأدبي عموماً والرواية خصوصاً تتضمن عدّة إيتيقيات منها: إيتيقا الاعتراف بالآخر، إيتيقا الحياة، إيتيقا السعادة، إيتيقا الموت، إيتيقا الطب، إيتيقا التعامل... وهكذا، بمعنى؛ تداخل الإيتيقا مع العديد من العلوم، ولا يقوم أي علم من العلوم دون الإيتيقا.

2- أنّ الإيتيقا كانت في بدايتها تتعلّق بمعان ذات دلالات مادية بحتة فارتبطت بالأشياء: كالسكن، المنزل، المأوى... إلى غير ذلك من المسميات الحسية حسب ما جاء به "هوميروس"، كما تطورت بمرور الوقت وتغيرت بتغير الظروف والعصور، لتصبح حاملة لمعان وحمولات دلالية أكثر وظيفية انطلاقاً من ربطها بالأفعال والسلوكيات الصادرة عن الإنسان خيراً أو شراً، جيداً أو رديئاً، بمعنى انتقالها من ماهو مادي إلى سلوكيات الإنسان، إذ يذهب "أرسطو" إلى أبعد من ذلك وهو إعطاء المفهوم حدود أوسع من خلال ربطه بالفلسفة والسياسة، وعلوم أخرى عديدة.

3- أن إيتيقا الاعتراف بالآخر تعني في مجملها الأخلاقيات التي يجب اتباعها في التعامل مع الآخر، الذي بدوره عليه أن يمثل للذات في إطار هذه العلاقة المتبادلة، ومن الفلاسفة الذين اهتموا بقضية الآخر والأخلاقيات نجد الفيلسوف العقلي "كانط"، إضافة إلى الفيلسوف الغيرية الفرنسي "إيمانويل ليفيناس" من خلال حديثه عن إيتيقا الوجه، إيتيقا الغيرية، إضافة للفيلسوف "يورغن هابرماس" من خلال نظريته إيتيقا التواصل.

4- ففي إطار المسعى الإيتيقي يسير الإنسان وفق ضوابط الاحترام والاعتراف بالآخر المخالف له في العادات والأعراف، كما أنّ هذا الاحترام مرتبط باحترام الذات كفاعلة أخلاقية، مع الحفاظ على الهوية، وعدم الانسلاخ والذوبان في الآخر.

5- أن يكون الإنسان إيتيقياً في أفكاره اتجاه الآخر، وبالتالي العمل على أخلة الفكر نحو الآخر والاعتراف بمبدأ الاختلاف بين الأنا والآخر.

6- عمد الكاتب "أحمد الهادي رشراش" إلى قضية جوهرية وتتمثل في أنّ (coronavirus) كان بفعل إنساني ولم يأت هكذا وأنته كان نتاجاً للحرب البيولوجية بين الصين وأمريكا، وهذا دلالة على أنّ التطور التكنولوجي صحيح أنّه يساعد الإنسان لكنه فيه جوانب مظلمة وهي التي قد تؤدي بالإنسان إلى الدخول للما إن لم تستهلك بعقلانية.

7- رواية (ربيع الكورونا) حُبلى بالمعاني المبطنّة والمتعدّدة والمتوارية خلف الأبنية اللغويّة والقابلة للتأويل والقراءة، وذلك انطلاقاً من البحث فيها والحفر في معانيها البعيدة والتطرق لها من عدّة زوايا أخرى، يُمكن أن تكون هذه المقاربة قد غفلت عن التطرّق إليها؛ لاسيما وأنّ الرواية كعمل إيداعي تفتح المجال على العديد من المناهج التي يمكن إخضاعها لها وقراءتها وفقاً لآلياتها البحثية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1- رشراش أحمد الهادي: ربيع الكورونا، (ط1)، منشورات ابن عربي، تونس، 2020م.

ثانياً: الكتب

1- الكتب العربية

1- رمضان هاني إسماعيل وعلي عماد عبد الباقي: تجليات كورونا في الشعر المعاصر، دراسة نقدية، (ط1)، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، تركيا، 2021.

2- عبد اللاوي الناصر: معضلة الإنسان وسؤال القيم، (ط1)، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع، تونس، 2022م.

3- مجموعة مؤلفين: ربيع الكورونا مستويات التلقي ومسارات التأويل (مقاربة نقدية)، إعداد وتقديم: سماح حمدي، (ط1)، دار أم الدنيا، القاهرة، مصر، 2022م.

4- مصباح هشام: كورونا وسؤال الأخلاق نحو ميثاق إنساني جديد، (ط1)، ألفا للوثائق للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2022م.

2- الكتب المترجمة:

1- بابا. هومي. ك: موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، (ط1)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

2- ديورانت ول: قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، (ط5)، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1985م.

3- ريكور بول: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، (ط1)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005م.

4- ريكور بول: العادل، تر: محمد البحري وآخرون، تنسيق فتحي التريكي، (د. ط)، المجمع التونسي، للعلوم والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2003م.

ثالثاً: المعاجم

1- العربية:

1- سعيد جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د. ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م.

2- الأجنبية

1- flew Antony: A Dictionary of philosophy, first edition, published by pan books Ltd, cavage place, London, 1979.

رابعاً: المقالات

1- أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة 1، الجزائر، مج 03، ع 01، مارس 2021م.

2- مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ع 10، السنة الرابعة، شتاء 2018م.

3- مجلة الاستغراب، صيف 2016م.

4- مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، مج 15، ع 01، 2023م.

5- مجلة التفاهم، ع 46، 2015م.